Journal of University Studies for inclusive Research (USRIJ)
مجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة
ISSN: 2707-7675

Journal of University Studies for Inclusive Research

Vol.7, Issue 43 (2025), 156956 - 156975

USRIJ Pvt. Ltd

المنهج التداولي وتحليل الخطاب

خالد بن أسيمر البلوي

KHALED OSAIMER AL-BELWI

مشرف توجيه تربوي في الهيئة الملكية بينبع

ماجستير في الأدب والبلاغة والنقد

Belwi00@gmail.com

الملخص:

من المؤكد أنّ ظهور مصطلح التداولية كان ردت فعل لما أقدمت عليه البنيوية من إغلاق النص على نظامه الداخلي، وقطع علاقته ما حوله ومن حوله، واعتمدت كل تحليلاتها على العلاقات التركيبية بين المفردات وبين الجمل، وجاءت محاولة التداولية لكسر هذا الانغلاق، وفتح لغوية النص على الاستعمال ببعده الحياتي من ناحية، وكيفية سلوك أفراد البيئة اللغوية في إنتاج الكلام من ناحية أخرى.ويبدو أنّ عملية الفتح قد اتكأت على مقولة سوسير عن اللغة والكلام، وكيفية تحول اللغة إلى كلام في الاستعمال الحياتي، أي أنّ اللغة لا تنتمي للأفراد، وإنما تنمي للجماعة اللغوية، فالذي ينتمي للأفراد الكلام، مع ملاحظة أن الاستعمال الحياتي للكلام لا يكاد يخضع للقوانين والقواعد الصارمة، بل إن الاستعمال هو الذي يولد قوانينه داخل السياق بركيزة التوصيل.

وفي التوصيل تستوعب التداولية الأعمال الأدبية بكل محتوياتها السياقية التي تعقد العلاقة الكلامية بين الشخوص والوقائع والعناصر، وهو ما يشير إلى أن التداولية تقوم بتعديلات في بعض مقولات الحداثة التي تنظر في اللغة من خارج النص على أنّ مهمتها الأولى توصيل المعنى، أما داخل النص فإن مهمتها توصيل ذاتها بكل ما فيها من جماليات فنيّة وصياغيّة.وتعطي التداولية اهتمامًا كبيرًا لأعراف اللغة التي تمثل العرف الاجتماعي، ولمنطقها الذي يعكس فكر المجتمع، والاهتمام بالعرف والمنطق هو الذي يتيح لعملية الاتصال أن تتم في ضوء الدلالة المستمدة من الواقع، ذلك أن الاتصال هو نوع من المصالحة بين وظيفة فعل الكلام والفعل الاجتماعي.

ولما كانت التداولية ليست علما لغويًا يقف عند تفسير الظاهرة اللغوية من ناحية الشكل فحسب بل هي علم يدمج مجموعة المعارف الإنسانية، لذا فالحديث عنها يستدعي التعرف على شبكتها المفاهيمية المكونة لها، والحقول التي تنتمي إليها، ومنها: الفلسفة التحليلية، وعلم النفس، ونظريات التواصل ... وغيرها.

الكلمات المفتاحية: التداولية، المواضعة، الإشاريات، الاستلزام.

Abstract:

Pragmatic Approach and Discourse Analysis

The emergence of pragmatics undoubtedly constituted a reaction to structuralism's closure of the text within its internal system, severing its connections to its surroundings. Structuralist analyses relied solely on syntactic relationships between words and sentences. Pragmatics emerged as an attempt to break this isolation, opening the text's linguistic structure to real-life usage—on one hand, by grounding language in its lived context, and on the other, by examining how individuals within a linguistic community produce speech.This shift appears to have drawn on Saussure's distinction between langue (language as a system) and parole (individual speech acts), particularly how langue transforms into parole in practical usage. Language, in this view, belongs not to individuals but to the linguistic community, whereas speech acts belong to individuals. Notably, real-life speech usage rarely adheres to rigid rules; rather, usage generates its own norms within the communicative context.

In communication, pragmatics incorporates literary works with all their contextual elements, which shape the discursive relationships between characters, events, and textual components. This suggests that pragmatics modifies certain modernist assumptions that view language's primary function as conveying meaning outside the text. Within the text, however, language communicates itself through its artistic and stylistic aesthetics.Pragmatics places significant emphasis on linguistic conventions, which reflect social norms, and on the logic underlying language, which mirrors societal thought. This focus on convention and logic enables communication to operate through meanings derived from reality, positioning communication as a reconciliation between the function of speech acts and social action.

Since pragmatics is not merely a linguistic science confined to formal analysis but an interdisciplinary field integrating humanistic knowledge, discussing it necessitates an exploration of its conceptual framework and affiliated disciplines, such as analytic philosophy, psychology, and communication theories.

Keywords: Pragmatics, Conventionalization, Deixis, Implicature.

المقدمة:

التداولية هي إحدى المناهج الحديثة في تحليل الخطاب، بعض المنظرين لها يجعلها ضمن حقل اللسانيات (صحراوي، 2005م)، والبعض الآخر يرى بأنها لا تنتمي لهذا الحقل وحده؛ وذلك لتعدد مشاربها والحقول التي تستقي منها، فهي فضاء مفتوح على معظم المعارف الإنسانية لاستيعابها علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاتصال والنقد الأدبي والبلاغة والسيمائيات وتحليل الخطاب واللسانيات وغيرها (علي، 2017م).

اشتهر مصطلح التداولية وحظي بالقبول لدى الدارسين العرب، وهو مصطلح أطلقه الدكتور طه عبدالرحمن سنة 1970م مقابلًا للمصطلح الغربي (Pragmatics)؛ وذلك لرؤيته بأن التداولية استوفت المطلوب باعتبار دلالتها على معنيين: الاستعمال والتفاعل معًا(يعقوب وطعمة، 2021م).

تُرجم المصطلح إلى اللغة العربية ترجمات متعددة، وقد بلغت عند جميل حمداوي في كتابه التداوليات وتحليل الخطاب عشرة ترجمات، منها: "الذرائعية، والنفعية، والتداولية، والوظيفية، والاستعمالية، والتخاطبية، والتبادلية، والاتصالية، والمقصدية، والمقامية" (حمداوي، 2015م)، وهناك اختلاف بين النقاد في تحديد المصطلح الأقرب لترجمة الكلمة بناء على ما تصوروه من تطابق بين الكلمة المختارة ودلالتها على المعنى المراد (المرجع السابق).

أمَّا من ناحية اللغة فمادة الدال والواو واللام تدور حول أصلين اثنين أحدهما يدل على تحول من مكان إلى مكان وهو المراد هنا، يقول ابن فارس" اندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّوْلة والدُّولة لغتان. ويقال بل الدُّولة في المال والدَّوْلة في الحرب، وإنما سميا بذلك من قياس الباب؛ لأنه أمر يتداولونه، فيتحول من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا" (الرازي، 1979م).

وقد بيَّن طه عبدالرحمن استعمال التداولية بوصف يعطي معنى تناقله الناس، وأداروه بينهم وجعله قسيم للفعل (دار)، الذي من دلالته نقل الشيء وجريانه، وذلك ليخلص إلى أن المعنى الذي يحمله الفعل هو التواصل، ومقتضى التداول إذ أن يكون القول موصولا بالفعل (يعقوب وطعمة، 2021م).

ومن الممكن أن نلج إلى مفهوم التداولية من خلال نشأة النظرية في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر مع (ويليام جيمس) الذي كان يرى أنَّ الحقيقة تكمن في طابعها المنفعي والمصلحي، وتحقق المشاريع المستقبلية الهادفة التي من شأنها أن تُسْهِم في تنمية الأفراد وتحقق الرقي لدى المجتمعات من خلال المردودية والإنتاجية، ومن ثم تُعَدُّ كل الأفكار والحقائق التي لا تحقق مصلحة أو منفعة للإنسان مجرد حقائق زائفة وغير نافعة (حمداوي، 2015م).

من هنا جاءت التداولية لإثبات أن القيمة الفعلية للكلام هو معناه الفعلي والعملي عند ممارسة عملية التواصل بين أطراف الخطاب، فهي محاولة لتفسير الكلام من خلال السياق الذي أهملته المدارس اللسانية، يقول جميل حمداوي: "تهتمه التداوليات بالمرجع والإحالة التي أُقصيت من قبل فرديناند دوسوسير الذي حصر العلامة في الدال والمدلول ... فهي ترفض المقاربة التداولية في مجال الأدب والنقد وركزت على البنيات الشكلية والجماية، دون مساءلة أفعال الكلام والمقصدية والوظيفية فضلا عن ذلك اللغة العادية واللغة اللاعادية" (المرجع السابق).

مما سبق نستنتج أن التداولية هي دراسة اللغة بوصفها ظاهرة ثقافية واجتماعية وتواصلية معا، فهي تختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم ويفسره السامع، ولذلك فهي تهتم بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر مما تهتم بما يمكن أن تعنيه الكلمات منفصلة عن أي سياق، فهي تحاول تفسير ما يقصده الناس في سياق معين، وكيفية تأثير السياق فيما يقال، كما تدرس التداولية الكيفية التي يصوغ من خلالها المستمعون استدلالات حول ما يقال للوصول إلى تفسير المعنى المقصود من المتكلم.

حيث تستوعب التداولية الأعمال الأدبية بكل محتوياتها السياقية التي تعقد العلاقة الكلامية بين الشخوص والوقائع والعناصر، فهي تنظر إلى اللغة خارج النص على أن مهمتها الأولى توصيل المعنى، وأما داخل النص فمهمتها توصيل ذاتها بكل ما فيها من جماليات فنية وصياغية.

وتعنى التداولية بأقطاب العملية التواصلية؛ فتهتم بالمتكلم ومقاصده، بعدّه محركًا لعملية التواصل، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية ضمانًا لتحقيق التواصل من جهة، ولتستثمرها في الوصول إلى غرض المتكلم وقصده من كلامه من جهة أخرى.

إن التداولية أخلصت فاعليتها للسياق الاستعمالي للغة بمتابعة العناصر التي تتصل بالمتكلم والمخاطب والكلام الملفوظ والمكتوب والحال والمقام، فاهتمت بأفعال الكلام التي ارتكزت على الفلسفة التحليلية بجانبيها المعرفي والتوصيلي، وعناصر العلاقة الرابطة بين أطراف الاتصال اللغوي.

مشكلة البحث:

تبرز في الساحة اللغوية إشكالية تحديد مفهوم موحَّد للتداولية، حيث اختلف العلماء والفلاسفة واللغويّون في تحديد مفهوم عام يستوعب جميع مجالاته ، ويحيط بكل نظرياته وقضاياه.

فرضيات البحث:

وفي هذه الورقة البحثيّة سأعرض لهذا المنهج –مستعينًا بالله– من خلال الفرضيات التالية:

– هل للمنهج التداولي ملامح في تراثنا العربي (الأدبي والبلاغي)؟

– ما أهمية المنهج التداولي من بين المناهج النقدية السياقية والنسقية؟

– ما أهم مباحث المنهج التداولي في تحليل النصوص الأدبية؟

– أين تكمن إشكاليات تطبيق المنهج التداولي؟

أهداف الدراسة:

بيان أنَّ التداولية هي دراسة اللغة بوصفها ظاهرة ثقافية واجتماعية وتواصلية معًا، فهي تختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم ويفسره السامع، ولذلك فهي تهتم بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر مما تهتم بما يمكن أن تعنيه الكلمات منفصلة عن أي سياق.

محاولة تفسير ما يقصده الناس في سياق معين، وكيفية تأثير السياق فيما يقال، كما تدرس التداولية الكيفية التي يصوغ من خلالها المستمعون استدلالات حول ما يقال للوصول إلى تفسير المعنى المقصود من المتكلم، ومن هنا يتبين لنا أن الاستدلالات التداولية تتأسس على أعراف اجتماعية مستمدة من الواقع الخارجي، وبتواضع من أفراد المجموعات اللغوية المتواطئة على ذلك.

إبراز جهود العرب القدامى عن طريق التمثيل للمكون الوظيفي التداولي في النظرية اللغوية العربية، إذ اهتموا بالبحث في معاني الأساليب وأغراضها التواصلية، وجعلوها أساسًا معرفيا للتحليل النحوي، كما نجد أن بداية الملاحظة لهذا المنحنى التداولي تعود إلى زمن الخليل وسيبويه، كما اهتم المتأخرون بذلك أكثر، ومنهم: السكاكي، والجرجاني، ... وغيرهم،

أهمية الدراسة:

تناول موضوع التداولية في إطار البحث عن جذور النظرية اللسانية المعاصرة للتداولية في اللغة العربية، وتوضيح التصوّر العربي للغة بوصفها نشاطًا تداوليًّا، وبيان الجهد التداولي لعلماء اللغة العربية الذين أشاروا إلى التداولية ولو بطرف خفي، وتسليط الضوء على الجهود التداولية عند العلماء، ومحاولة الكشف عن جهود متفرقة في المجال التداولي.

حدود الدراسة:

دراسة استعمال اللغة في مستوياتها المختلفة، ومراعاة ذهنية السامع (المتلقي) أثناء عملية التخاطب، وتحقيق العملية التواصلية مع مراعاة الظروف المحيطة بالتفاعل التخاطبي.

منهجية الدراسة:

منهج وصفي يبين معنى مصطلح التداولية وترجمته إلى العربية والجذر اللغوي، وبيان الجهد التداولي عند العلماء، ونماذج لدراسات تطبيقية.

ولتحقيق الغاية من الورقة فقد قُسِّمت إلى تمهيد وخمسة مباحث، حيث كان المبحث الخامس نماذج لدراسات تطبيقية، ثم ختمت بخلاصة ونتائج.

أدوات البحث:

دراسة استعمال اللغة، والتحليل التداولي لمراعاة ذهنية السامع (المتلقي) أثناء عملية التخاطب، ومراعاة الظروف المحيطة بالتفاعل التخاطبي؛ لتحقيق العملية التواصلية.

مصطلحات البحث:

- التداولية: دراسة اللغة بوصفها ظاهرة ثقافية واجتماعية وتواصلية معًا، فهي تختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم ويفهمه السامع.
- المواضعة: دوال تحضر في السياق الاستعمالي لتفرض عليها دلالتها اللغوية والعرفية والصوتية.
- متضمنات القول: رصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب.
- الاستلزام الحواري: المعنى المستفاد من السياق.

المبحث الأول: ملامح التداولية في التراث العربي(الأدبي والبلاغي):

الركيزة المركزية في التداولية هي الاستعمال أو السياق الاستعمالي للغة حيث تتحول اللغة إلى كلام، ومصطلح الاستعمال إذا اعتبرناه مصطلحا، كان الأداة التي اعتمدتها البلاغة العربية، وقد تنبه البلاغيون إلى أن اللغة تمر بمرحلتين متلازمتين: المرحلة الأولى مرحلة المواضعة ثم مرحلة الاستعمال، وهو ما ذكره السكاكي عند حديثه عن الحقيقة والمجاز، قال: "الحقيقة هي الكلمة المستعملة في معناها بالتحقيق ... وأما المجاز، فهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له" (السكاكي، 1983م)، فكلام السكاكي هنا صريح في تحديد المرحلتين، وأنهما حاضرتان في الحقائق والمجازات، إذ إن كلا منهما مسبوق بمرحلة الوضع اللغوي الذي لا يتحول إلى كلام إلا عند تجاوز المواضعة إلى الاستعمال.

وحتمية حضور المواضعة في السياق الاستعمالي حتمية عقلية، ذلك أن اللغة سمات على المعاني، ولا يمكن تصور وضع الاسم لغير معلوم (الجرجاني، 1992م).

ومن الملفت أن القاضي الجرجاني ربط الاستعمال اللغوي بعناصر غير لغوية، إذ ربطه بشخصية المتكلم تارة، وبالبيئة المكانية تارة، وبالزمن تارة، والناس في هذا الاستعمال تتباين أحوالهم بين الرقة والصلابة والسهولة "بحسب اختلاف الطبائع، وتركيب الخلق، فإن سلامة اللفظ تنبع من سلامة الطبع ... حتى إنك ربما وجدت ألفاظه في صوته، ونغمته، وفي جرسه، ولهجته" (القاضي الجرجاني، 2006م).

وقد انتقلت البلاغة ببحوثها من المواضعة إلى الاستعمال في تحديد مفهوم الحقيقة والمجاز، بل إن تعريف مصطلح البلاغة اعتمد على السياق المقامي والحالي في أن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وقد فصَّل المسألة بشر بن المعتمر في صحيفة عندما عرض لمنازل المتكلمين، إذ أوضح أصحاب المنزلة الأولى وطبيعة إنتاجهم الصياغي والدلالي، وشرط فيه عذوبة اللفظ ووضوح المعنى "إما عند الخاصة، إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة، إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف

بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال" (الجاحظ، 1998م).

وأقدم الجاحظ على ربط الاستعمال اللغوي بالإطار الاجتماعي، وعلى هذا التأسيس يصح للمتكلم أن يختار مفرداته بعيدًا عن سيطرة الوحشية أو العامية قريبا من طبيعة الكلمة وعلاقتها بمن اختارها ومن يتلقاها، "فإن الوحشي من الكلام، يفهمه الوحشي من الناس" (المرجع السابق).

ويتجاوز السكاكي الوعي اللغوي والعرفاني ليربط المقام بالسياق الاستعمالي ومكوناته الدلالية، وكيف يؤثر هذا السياق على اختيار المفردة ثم إدخالها التركيب، "ومقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر، يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح، يباين مقام الذم... ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر" (السكاكي، 1983م).

وقد استوعب التراث البلاغي مرحلة الاستعمال باستيعاب طرفيها الرئيسين: المتكلم والمتلقي، ثم ربطها بالحال والمقام، مع تغليب جانب المتلقي في فاعليتهما التأثيرية، وهذا التغليب من كان هو السائد في الدرس القديم.

المبحث الثاني: أهمية التداولية:

يعد المنهج التداولي أهم المناهج الحديثة التي فتحت آفاق البحث اللساني، وذلك بعد دراسة النص وملابساته من خلال ربطه بين علاقاته الداخلية والخارجية؛ مما كشف عن تفاعلات عديدة بين الأديب والمتلقي والنص، وهذا ما كشف عن تأويلات غير محدودة للخطاب ساهمت في فهم مكنوناته وإدراكها إدراكًا عميقًا يتجه صوب تحديد مقاصده وأغراضه بدقّة.

ولعلّ المنهج الذي تكفَّل بدراسة كل المكونات، وتصدى لإيجاد إجابات لها، وتوحيدها في إطار سياق التواصل هو المنهج التداولي؛ باعتبار أن المعنى ليس شيئًا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم والسامع وحدهما، فصناعته تتشكل من خلال تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد ماديًّا واجتماعيًّا ولغويًّا للوصول إلى فهم كامل للمعاني المقصودة، فتنوع مصادر التداولية ومرجعياتها أكسبها ميزة سمحت لها بإمكانية دراسة متعلقات العملية التواصلية من كافة جوانبها في انسجام وتناغم كبير.

ويعلل بعض الباحثين سبب ظهور التداولية أنها جاءت لتحل كثيرًا من الإشكالات التي أفرزتها اللسانية في معالجتها للغة؛ لأن تلك الدراسات ركزت على الشكل وأهملت السياق، فجاءت التداولية لحل هذا الإشكال، ولتمدهم "برؤى متعددة، نتيجة لقصور الدراسات الشكلية، وإهمالها لمقاربة اللغة في تجليها الحقيقي، أي في الاستعمال التواصلي بين الناس، ولذلك يرى (ليفنسون) أنَّ الأساس الأول في نشوء المنهج التداولي كان بمثابة ردة فعل على معالجة (تشومسكي) للغة بوصفها شيئًا تجريديًّا أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة، وإغفال اعتبار استعمال اللغة ومستعملها ووظائفها، ثم استعرض عددًا من الدوافع العامة التي كانت وراء تطور المنهج التداولي، إذ كان منها ما يتعلق بالتراكيب وتحديد المراجع، ومنها ما يتعلق بدلالة الخطاب في السياق والتعامل الاجتماعي بين طرفي الخطاب" (الشهري، 2004م)، فالمفاهيم المعجمية قد لا تكون كافية لتفسير وفهم الخطاب الذي يقال فيه الكلام، فكانت التداولية كفيلة بأن تعطي درجة الفهم المطلوبة من الكلام حسب ما أراده المتكلم وجاء به السياق وفسره السامع.

وتتجلَّى أهمية التداولية في دمجها للمستويات اللغوية المختلفة في منظومة واحدة ودراسة اللغة على أساسها أثناء الاتصال اللساني، فتجعل المتكلم يرتبط بالمقام فيتنبأ بما يستلزمه الموقف ليراعيه أثناء إنجاز خطابه، وبذلك يغدو معنى الملفوظات هو القيمة التي يكتسبها الخطاب في سياق التلفظ، وهذا ما

يجعل المتكلم هو المتحكم في المعنى لا اللغة نفسها، وبذلك يستطيع ضمان حصول عملية الفهم والإفهام حيث يوظف مستويات اللغة بما يستجيب مع قصده متكئًا في ذلك على السياق؛ بعدّه مؤثرًا مهمًا في نظام الخطاب المنجز.

فالتداولية تهتم بدراسة المعنى اللغوي أثناء الاستعمال، وهذا ما يجعلها أكثر دقّة وضبطا في معالجتها للغة، وبالتالي فإن قدرة التداولية على التدخل في إثراء معنى الكلام والذهاب في تأويل المسكوت عنه هي من الغنى والسعة مما يثري الخطاب بتمكينه من إثمار قراءات لم تكن دلالة اللغة البسيطة تتحملها ولا قادرة على تمثلها.

كما تظهر أهمية التداولية في محاولتها للإجابة عن الأسئلة العديدة التي مثَّلت إشكاليات جوهرية أثناء معالجة النصوص المختلفة، فتهدف في محصولها العام للإجابة عن أسئلة تطرح نفسها ولم تستطع المناهج الكثيرة السابقة في دراستها الإجابة عنها.

ثم إن اتساع مجال البحث في التداولية جعلها درسًا لغويًّا غزيرًا وحيويًّا يمد الدراسات اللغوية بعدد من الأفكار والمفاهيم والرؤى الجديدة التي يستضيء بها الباحثون دراساتهم، ويصلون من خلالها إلى نتائج قيمة ما كانت لتبرز إلا في ضوء التداولية، ومناهج دراستها للمعنى وهو ما يجب استثماره في دراسة التراث العربي.

المبحث الثالث: جوانب البحث الدلالي:

رغم اتساع نظريات الدرس التداولي إلا أن الباحثين يكاد يجمعون على أن البحث التداولي يقوم على دراسة أربعة جوانب هي: الإشارة، والافتراض المسبق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية، ومع

نهايات القرن العشرين ازدادت اهتمامات التداولية واتسعت اتساعًا لتشمل موضوعات أخرى لها صلة مباشرة بالاستخدام الفعلي للكلام كالحجاج الذي يعد ركنًا من أركان التداولية (ختام، 2016م).

1- الإشارة أو الإشاريات:

تظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما نشير إليه فيسود الغموض ويستغلق الفهم فنحاول تفسيرها بالاعتماد على السياق المادي الذي قيل فيه ومعرفة المرجع الذي تحيل إليه؛ ولأنها خالية من أي معنى في ذاتها يطلق عليها النحويون اسم المبهمات.

- أهم الإشاريات التداولية:

1- الإشاريات الشخصية: وتتمثل في الضمائر المنفصلة والمتصلة التي تشير إلى المتكلمين والمخاطبين.

2- الإشاريات الزمانية: تحيل إلى زمن أحداث الخطاب والزمان وهي نوعان: نحوي، وكوني خارجي.

3- الإشارات المكانية: وهي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع.

2- متضمنات القول:

مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره من أهمها ما يلي:

1- الافتراض المسبق: حيث يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس ما يفترض سلفًا أنه معلوم له، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل ويكون هذا الافتراض المسبق موجودًا في الكلام ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة.

2- الأقوال المضمرة: وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق الذي يُحدد على أساس معطيات لغوية.

3- الاستلزام الحواري:

هو المعنى المستفاد من السياق، ويعد من أهم المبادئ التداولية، وينقسم إلى قسمين: استلزام عرفي، واستلزام حواري.

1- الاستلزام العرفي: ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تتغير بتغير السياق والتركيب.

2- الاستلزام الحواري: متغير دائمًا بظروف إنتاج العبارة اللغوية.

4- أفعال الكلام:

حينما يحاول الإنسان التعبير عن أغراضه لا ينتج فقط أقوالا ذات بنيات نحوية وألفاظ معينة، بل إنه ينتج أفعالا مخصوصة، فالفعل الذي ينجزه الإنسان بالقول يعد كالأفعال الأخرى التي يقوم بها الإنسان في حياته، ومن هذه الأفعال الإنجازية: الاستخبار (طلب الخبر)، والاستنكار (استنكار شيء لم يعجبك)، والاستحثاث (تحث على أمر ما).

إن النص الأدبي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية افعل ولا تفعل، ويعني هذا أن الخطاب أو النص الأدبي في مفهوم التداوليات التحليلية عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الإنجازي والتأثير الذي يتركه هذا الإنجاز (حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ص (15)).

5- الحِجَاج:

يدخل البعد الحجاجي في الكلام ضمن الحقل التداولي باعتباره ضمن الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه لإقناع المرسل إليه وإحداث التأثير فيه من خلال تغيير موقفه الفكري أو العاطفي، "والغرض من الحجاج هو الإقناع والتأثير والتداول والتواصل والتخاطب، ومن ثم فالحجاج فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعَّالة" (ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص (98-100)).

ويعد الحجاج سمة بارزة في الملفوظات اللغوية والنصوص الأدبية والخطابات، لذا على الباحث في هذا المجال أن يحلل النص بنية ودلالة ووظيفة، ويستخرج المقاييس الحجاجية وإستراتيجياتها المبنية ذهنيا من قبل المتكلم والمخاطب على حد سواء، وتصنيف المقاييس والمقولات الحجاجية، ووصفها وتفسيرها لغويا وبلاغيا وتداوليا وجدليا وخطابيا، بمعنى أنه لا بد من الاستعانة بمجموعة النظريات المتكاملة في مقاربة الخطابات ذات البعد الحجاجي (حمداوي، 2015م).

وتعد الفنون البلاغية وأساليبها من الآليات الحجاجية التي تعالج النصوص الأدبية، وتدرس وسائل الإقناع وتقنياته في الخطاب، فالأساليب البلاغية على اختلافها تعد وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير في نفس المتلقي، يقول محمد سالم الأمين في كتابه البلاغة المعاصرة: "أن البلاغة هي فن الوصول إلى تعديل موقف المستمع أو القارئ، وهي تمثل منهجًا للفهم النصي مرجعه التأثير" (الأمين، 2008م)، فالبلاغة بهذا الوصف آلة حجاجية لإثبات حجة المتكلم.

إنَّ أغلب الفنون البلاغية من بيان ومعان وبديع إنما هي في حقيقة الأمر من أساليب الحجاج التي من شأنها أن تجعلنا نرى فيها البعد التواصلي والتفاعلي في خطاباتنا المكتوبة والمنطوقة، ولا سيما في النصوص الأدبية، التي يعتمد فيها المتكلم لتضمين أساليب بديعة لتغيير موقف المخاطب (حمداوي).

المبحث الرابع: إشكاليات التداولية:

من طبيعة التداولية تهميش حضور المتكلم؛ لأن همها الأول خالص للسياق الخارجي المحيط بالواقعة الكلامية؛ لأن هذا السياق هو الذي يفرض احتياجاته التوصيلية، وعلى المتكلم أن يخضعه لهذا السياق ومتطلباته، معنى هذا أن السياق والمتلقي هما العنصران المركزيان، وأن دور المتكلم دور سلبي في مواجهة إيجابية السياق والمتلقي.

وتأتي التداولية لتخضع اللغة الأدبية للغة التوصيلية، وهو إخضاع غير شرعي؛ لأن اللغة الأدبية تنتمي لمنتجها بالدرجة الأولى ثم في مرحلة تالية تستحضر المتلقي ليكون مرآة عاكسة تظهر عليها ردود الفعل إزاء النص، إذ اللغة الأدبية لا توصل المعنى بقدر ما توصل ذاتها بكل جمالياتها.

المبحث الخامس: نماذج لدراسات تطبيقية:

- **تداولية الخطاب السردي في رسالة الغفران – د. نجلاء علي مشعل:**

مقاربة الخطاب السردي في رسالة الغفران وفق المنهج التداولي وآلياته، وتحاول الدراسة أن تفيد من تقنيات المنهج التداولي التي يمكن تطبيقها على الخطاب السردي كالبحث في المقاصد وسياق النص والتوجه الحجاجي. وتسير الدراسة وفق التقسيم التالي: مدخل: وفيه إطلالة على موقع التداولية بين المناهج النقدية ودورها في مقاربة النصوص، ثم المبحث الأول: مقاصد الخطاب السردي، ثم المبحث الثاني: البعد الحجاجي في رسالة الغفران ودوره على مستوى الحكاية والخطاب، ثم المبحث الثالث: حوارية الخطاب السردي، ثم الخاتمة: وفيها عرض لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة (مشعل، 2015).

- **تداولية الإشارة في بردة البوصيري – آسيا محمد وداعة الله–عثمان إبراهيم إدريس:**

تناول الباحث تداولية الإشارة في بردة البوصيري، وركز على تداولية الإشارة، وجعل من بنية الإشارة في قصيدة البردة نموذجًا للدرس التداولي الذي يعالج اللغة أثناء وظيفتها التخاطبية، وبيّن أهمية الموضوع في تجسير الهوة ما بين الدراسات النظرية والتطبيقية، ووجد من خلال التطبيق أن الإشارات في البردة لا تخرج عن الإشارات الشخصية أو الزمانية أو المكانية أو الاجتماعية، وتوصل الباحث إلى نتائج عديدة من أهمها أن الإشارات تسهم في توصيل مراد القائل للسامع، وأن الإشارات الشخصية عند البوصيري على أقسام عديدة(وداعة الله وإدريس، 2015م).

القصدية التداولية في الخطاب الروائي(قراءة في رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق) أ. ليندة حمودي – أ.د ذهبية حمو الحاج:

تسعى هذه الدراسة للتقرب من الخطاب الروائي من منظور لساني معاصر في الدراسات اللغوية العربية، وهو المنظور التداولي الذي يهتم بالكشف عن جملة من القضايا المرتبطة باللغة من بعدها الاستعمالي التخاطبي. والرواية كشكل من أشكال استخدام اللغة تمثل واقعة لغوية تواصلية بين الكاتب والقارئ، وتحتاج إلى البحث عن العلاقة بين اللغة ومستخدميها من أجل الوصول إلى مقاصدها واستخلاص التأويل المناسب لها. وحاولت الدراسة الولوج لعالم رواية (تاء الخجل لفضيلة الفاروق) بالبحث عن أهم مقاصدها، وفهم أبعادها باستغلال آليات وإجراءات المنهج التداولي بالبحث عن الظروف السياقية المحيطة بها، والكشف عن مختلف الآليات الخطابية التأثيرية المعتمدة من قبل الكاتبة التي جعلت من روايتها وسيلة تواصلية ناجحة ناجعة (حمودي والحاج، 2018م).

الخاتمة:

جاءت التداولية بآلياتها المختلفة لتدرس جانبًا من جوانب اللغة الإنسانية، وهو اللغة في بعدها الاستعمالي التواصلي، وذلك الجانب هو ما أهملته بعض المناهج اللسانية الحديثة.

تختلف التداولية عن المناهج النسقية الأخرى بتركيزها على الفعل الكلامي؛ في حين تركز المناهج الأخرى على الخطاب بشكل عام، فالتداولية تهتم بالمضامين والمقاصد التواصلية أساسا؛ لأن الأفعال الكلامية ليست فقط دلالات ومضامين بل هي إنجازات وأغراض تواصلية تهدف إلى صناعة أفعال ومواقف اجتماعية أو فردية بالكلمات والضغط على المتلقي وتوجيهه.

ولعل أهم ما يقدمه المنهج التداولي هو تخليص النص الأدبي من هيمنة النظر في نظامه وتراكيبه من وجهة نظر لسانيات اللغة التي جعلت دراسته لا تعدو الوقوف على ألفاظه وجمله، وحصرها في بيانات وأشكال هندسية، وينتقل به في المقابل إلى لسانيات الكلام التي تتجاوز النظرة الإفرادية إلى النظرة التداولية التي تعد النص خطابا تواصليا، وحينها تستند إلى كل المفاهيم التي تشرح شروط أدائه انطلاقا مما تعرضه البلاغة ونظرية الاتصال.

ويرى بعض الباحثين أن المقاربة التداولية للنصوص بحاجة إلى مزيد من التطبيقات على اللغة الأدبية لصعوبة الوصول إلى متقبل الخطاب، وبهذا أسهم هذا المنهج في ميلاد النظريات التي تهتم بالقارئ والمتلقي.

أرجو أن أكون قد وفقت في هذه الورقة البحثية لما يحب ربي ويرضى، فله الفضل والمنة وجزيل الثناء، ثم أتقدم بوافر التقدير، وجزيل الشكر، وصادق العرفان، وبالغ الامتنان لمجلة الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة على جهودهم المثمرة والمتميزة.

المراجع:

الأمين، د. محمد سالم، (2008م)، الحجاج في البلاغة المعاصرة، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديد، لبنان.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1998م)، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة السابعة، دار الخانجي، مصر.

الجرجاني، عبدالقاهر، (1992م)، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني، مصر.

حمداوي، جميل، (2015م)، التداوليات وتحليل الخطاب، الطبعة الأولى.

حمداوي، جميل، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، أفريقيا الشرق.

حمودي، ليندة والحاج ذهبية حمو، القصدية التداولية في الخطاب الروائي قراءة في رواية تاء الخجل لفضيلة الفاروق، (2018م)، مجلة الممارسات اللغوية، الجزائر، المجلد (9)، العدد (1).

ختام، جواد، (2016م)، التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، الطبعة الأولى، كنوز المعرفة، الأردن.

الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، (1979م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف، (1983م)، مفتاح العلوم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان.

الشهري، عبدالهادي بن ظافر، (2004م)، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، الطبعة الأولى، دار الكتب الجديد المتحدة، لبنان.

صحراوي، د. مسعود، (2005م)، التداولية عند العلماء العرب، الطبعة الأولى، دار الطليعة، بيروت.

علي، خلف، (2017م)، التداولية مقدمة عامة، مجلة اتحاد الجامعة العربية للآداب، المجلد (14)، العدد (1).

القاضي الجرجاني، علي بن عبدالعزيز، (2006م)، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، لبنان.

مشعل، د. نجلاء علي، تداولية الخطاب السردي في رسالة الغفران، (2015)، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، العدد (82).

وداعة الله، آسيا محمد و إدريس، عثمان إبراهيم، (2015م)، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، جامعة السودان، المجلد (16)، العدد (2).

يعقوب وطعمة، رشا وايجيرس، (2021م)، التداولية في الفكر العربي، مجلة الخليج العربي (49)، العدد (2).